قضيــة مسلميــن بلغاريــا[1]

الأستاذ الدكتور محمّد حافظ الشريدة

وضع المسلمين في بلغاريا مأساة ... إنهم ليسوا بأقلية صغيرة وليســوا أيضــاً بأقليــة ثانوية، فعددهم قد زاد علــى المليــونين أي أنهــم حــوالي ٢٢% مــن مجمــوع الســكان (٩ مليون نسمة). وعددهم يتزايد بنسبة أكبر من تزايد بقية السكان فــي الــبلاد، لكــنهم الآن يقعون تحت اضطهاد كبير ومهلك للقضاء على شخصيتهم الإسلامية.

وقد بدأت معاناة المسلمين في بلغاريا: منذ أن سيطر الشــيوعيون علــى الحكــم عــام ١٩٤٦م، وكانت الخطوات الأولى التي خطتها السلطات الشيوعية: هي إجبار المسلمين علــى الهجرة إلى تركيا. وقد هاجر إلى تركيا أكثر من ١٥٠ ألف تركي بلغاري ما بين عام ١٩٤٩م وعام ١٩٥١م. إلا أن النقص الذي سبّبته الهجرة في عدد الفنيّين في بلغاريا دفــع الحكومــة لانتهاج أسلوب آخر يركّز على إذابة الشخصية الإسلامية، وذلك بتفريق المسلمين بعضهم عن بعض! فتمّ إرسال حمولة ٢٨ عربة من العائلات المسلمة من مناطق مستانلي وكوســوكافاك ودرويري إلى الشمال. وفي سبتمبر ١٩٥٠م تم ترحيل حمولة (٦٣ عربــة) مــن العــائلات المسلمة من كوسو كافاك إلى مناطق ترويان ورازقراد وسومنو: حيث لا يكاد يوجــد ســكان مسلمون. والأغرب من ذلك: انتزاع الفتيات المسلمات من عائلتهن وتوزيعهن علــى الأقــاليم البلغارية، حيث أجبرن على الزواج من بلغار غير مسلمين!!

وفي تقرير صادر عن المنظمة العالمية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحــدة: نوّهــت المنظمة بالأساليب التي انتهجتها السلطات الحكومية لإزالة الوجود الإســلامي فــي بلغاريــا. وأشارت إلى المرحلة التمهيدية التي تمّت فيها محاولة دمج المسلمين الأتــراك فــي الشــعب البلغاري أيديولوجيا، وما تبع ذلك من إدخال أعداد كبيرة من الأتــراك فــي أجهــزة الدولــة وأجهزة الحزب الحاكم. ولما أثبتت هذه السياسة فشلها لجأت الحكومة إلــى التضــييق علــى المسلمين.

---

(١) لواء الإسلام: العدد الأول سنة ٤٤ غزة رمضان ١٩٨٩/١٤٠٩ ص٣٨.

ويقول التقرير: منذ عام ١٩٨٤م لم يعدْ هناك وجود لمجلات أو صحف باللغة التركيــة، وقد منع الاستعمال العلني للغة التركية ومنع ختان الأولاد على الطريقــة الإســلامية، ومنــع المسلمون من إظهار أي مظهر ينمّ عن طبيعتهم الإسلامية.

ومنذ ديسمبر عام ١٩٨٤م إلى مارس عام ١٩٨٥م: قادت السلطات البلغارية حملة كبيرة موجّهة ومخطّطة لتغيير الأسماء التركية الإسلامية إلى أسماء بلغارية. وتصف مجلــة التــايم الأمريكية هذه الحملة البشعة فتقول: (في الساعة الثالثة قبل الفجر سمع سكان بلدة (يابلونوفو) التي يقطنها مسلمون بلغار من أصل تركي أصوات عربات عسكرية، ومع بزوغ الفجر أغلقت كل الطرق المؤدية إلى البلدة، واندفع رجال (الميليشيا) الحزبية داخل المنازل وأمروا ربّ كل أسرة بتغيير اسمه وأسماء أفراد أسرته من أسماء تركية إسلامية إلى أسماء بلغارية، وكتابــة ذلك على ورقة مخصصة. وقد صفع على الفور من رفض الأوامر، بينما أجبر مــن اســتمر على الرفض على مشاهدة رجال (الميليشيا) وهم يغتصبون بناتة أو زوجتــه – أو تعــريتهنّ على الأقل – لإجبارهم على التغيير! وهناك العديد من الحقائق التي تدل على مــدى وحشــية النظام البلغاري في اضطهاد المسلمين: فمثلاً أثناء مسيرة ســلمية فــي مدينــة (ســاموكوفو) حصدت قوات الجيش بالرصاص وألقت في النهر حوالي ستمائة مسلم بسبب احتجاجهم علــى بعض القوانين المجحفة!!

وفي قرية (دوسباد) أحرق الكثير من المسلمين لرفضهم تغيير أسمائهم الإسلامية، كمــا قامت السلطات بهدم بعض المساجد وتحويل البعض الآخــر إلــى كنــائس أو معــارض أو مستودعات للخمور! كما منعت أي شخص أن يتعلّم القرآن أو أي شيء عن الإسلام، ومنعت أيضاً دفن الأموات على الطريقة الإسلامية وألزمت أهل الميّت بدفنه داخــل صــندوق علــى الطريقة النصرانية!

ووصل الاضطهاد إلى درجة إلغاء الاسم التركي من صحيفة (الضوء الجديــد): التــي كانت تصدر باللغتين البلغارية والتركية حتى نهاية يناير ١٩٨٥م.

وأغلقت السلطات المدارس التركية، وأخذت التلاميذ إلى مدارس بلغارية بعيدة داخليــة لتسهيل تنشئتهم بعيداً عن تراثهم الإسلامي، كما فرضت عقوبة بالسجن لمدة تتراوح ما بــين ٥:١٠ سنوات على أهل طفل يختن، بالإضافة إلى الإهانة والتعذيب والتشريد.

ولم تنته معانات المسلمين في بلغاريا بعدْ، وإن كنا لا نعرف عنها إلا القليل، وما ذلك إلا بسبب الستار الحديدي المضروب حولها، والتعتيم الإعلامي المفروض على أخبار المسـلمين، وذلك ليس بجديد فهو نهج متّبع ليس في بلغاريا وحدها، وإنما في دول الكتلة الشرقية جميعاً.

فهل هذه هي حرية الفرد والعقيدة والفكر التي يزعم الشيوعيّون توفرها فـي أنظمـتهم وحرصهم عليها؟؟!!